

## (تذكر أن) مختارات تفسير جزء تبارك الدرس الأول

- العلم له فضل وفضائل، وصاحب العلم له رفعتان: رفعة عامة، ورفعة خاصة، الرفعة العامة والخاصة اجتمعتا كما قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فأهل الإيمان رفعتهم عامة على غيرهم ممن ليسوا من المؤمنين. والرفعة الخاصة رفعة أهل العلم على سائر أهل الإيمان، ممن ليسوا من أهل العلم.
- ويعلم الجميع عظم شأن التفسير، ومما يدل على عظيم شأن هذا العلم الشريف كثرة التصنيف في التفسير، من المخطوط، والمطبوع، والمفقود، وما يتعلق بالتفسير من العلوم الأخرى.
- وقد ذكر أهل العلم في تعريف التفسير تعاريف كثيرة، قال بعضهم:
- ❖ إنَّ التفسير في اللغة مأخوذ من التفسرة.
  - ❖ وقيل: مأخوذ من مَسْفرة؛ لأنها تُسفر عن وجه الأرض.
  - ❖ وقيل مأخوذ من الإسفار، وهو الإظهار، فالتفسير يُظهر ما يخفى من معاني.
  - ❖ وذكر آخرون في تعريف التفسير اصطلاحاً أو شرعاً، بأنه علم يُفهم به كتاب الله، المنزَّل على محمد - صلى الله عليه وسلم-، ويُستخرج من ذلك حِكْمه وأحكامه، ويُستمد من علوم اللغة، والنحو، وما يتبع ذلك من كتب أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وقبل ذلك من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-.
- من أهمية هذا العلم أنه يزيد الإنسان بصيرة بكلام الله تعالى.
- طريقة تعين أو ترسيخ فهم الآيات في الذهن.
- ❖ الأمر الأول: أول أمر في هذه القضية وفي كل قضية: الدعاء، أن تدعو الله تعالى أن يرزقك العلم النافع والعمل الصالح.
  - ❖ الأمر الثاني: أن تقرأ السورة، وليكن مثلاً سورة تبارك، تقرأها أكثر من مرة، تعيد قراءتها؛ لأن التكرار يزيد رسوخ الألفاظ، ومن ثمَّ يزداد الإنسان تشوّقاً إلى فهم تلك الألفاظ.
  - ❖ الأمر الثالث: أن ترى الألفاظ الغريبة في السورة، التي لابد أن ترجع إلى كتب التفسير، أو اللغة.
  - ❖ الأمر الرابع: أن تأخذ الآية الأولى، تقرأ فيها، ثم تحاول وتشجذ الذهن؛ فتذكر فوائد من هذه الآية، ثم هكذا إلى آخر السورة، ثم تعيد القراءة مرة أخرى، لعلك تزيد فائدة، أو تُبعد فائدة غير واردة في الموضع.
- من أسباب رسوخ الفهم لسور القرآن .
- ❖ أن تقرأ بالسورة في صلاتك.

❖ مما يعين على بقاء الفهم ورسوخه: أن تُعلِّم غيرك.

❖ مما يتعلق بترسيخ فهم السورة: الرجوع إلى كتب علوم القرآن.

➤ هل أسماء السور توقيفية يعني بالوحي؟ أو اجتهادية من الصحابة -رضي الله عنهم-؟.

ففيها أشياء جاءت مسماة بالوحي، وأشياء من الصحابة، حتى قال بعض المفسرين، ومن التابعين وأتباع التابعين، حتى إن بعض السور قد يكون لها أكثر من عشرين اسمًا، وقد تشترك سورتان أو ثلاث في اسم واحد، كالفاتحة، والإخلاص، والكافرون، يسميها بعضهم سورة الإخلاص، وسورة الإيمان، وسورة الأساس.

➤ سورة تبارك، لها أسماء كثيرة. تسمى: "تبارك"، و"الملك"، وهذان الاسمان هما أشهر الأسماء. وتسمى المانعة، والمنجية، والمجادلة، والواقية، والمناعة.

➤ هذه السورة نزولها مكّي،

➤ هناك ضوابط وضعها بعض أهل العلم من علماء علوم القرآن، تعرف بها السور المكية من المدنية، يعني: علامات، وبعض العلامات تجزم بأن هذه السور مكية، مثل:

❖ كل سورة فيها سجدة فهي مكية، فمتى ما مررت بسورة فيها سجدة فهي مكية.

❖ كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية.

❖ وذكر بعضهم أن كل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية باستثناء البقرة وآل عمران، فيما أذكر، أو البقرة وسورة أخرى.

➤ سورة تبارك من فضائلها أنها سورة دافعت عن صاحبها حتى أنجته من عذاب القبر، وقال بعض شراح الحديث أن المراد ليس قراءتها فقط بل القراءة والعلم والعمل بها.

➤ هذه السورة الكريمة جاءت في بعض الأحاديث أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يقرأها عند النوم، هي وسورة الزمر.

➤ الآية الأولى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [تبارك: ١].

تبارك: تعظيم وتقديس، قيل مَنْ كَثُرَتْ بركته وعظمت خيراته، وأعظم البركة والخيرات خيرات الله تعالى وبركاته، وهي تشمل مصالح الناس في حياتهم وفي برزخهم وفي آخرتهم، فما أرسل الله من الرسل، وأنزل من الكتب فهو من بركته وخيراته.

➤ ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [تبارك: ١]،

مُلْكُ الله تعالى كامل، قال بعضهم: مِنَ الملوِك مَنْ يَمْلِكُ لكنه لا يُدبر غيره، ومنهم مَنْ يُدبر لكنه لا يملك، ومنهم مَنْ يملك ويُدبر لكن في تدبيره نقص، وَيَعْتَرِيهِ الخلل من المرض، والنسيان، والنوم والموت. أمَّا مُلْكُ الله تعالى فهو مُلْك تام كامل، قد بلغ في الحسن أعلاه، وفي الكمال منتهاه، لا يَعْتَرِيهِ نقص ولا خلل.

➤ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

قالوا: هذا من تمام الملك، يملك الملك التام، ولا يمتنع عليه فعل أي شيء، بل هو على كل شيء قدير، وكل شيء عليه يسير.

➤ الآية الثانية: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [تبارك: ٢]، قدم الموت؛ لأنه أدعى للتأثر، وأدعى للإقبال على الطاعة، والموت يكرهه الإنسان بطبيعة الحال، ولهذا في الحديث القدسي: «يكره الموت وأكره إسأءته» فتقديمه على الحياة من باب شحذ الهمم، والاجتهاد في العمل.

➤ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ يعني: هذه من حجَم خلق الموت والحياة، الدنيا دار بلاء وابتلاء، ومن كمال عدل الله وحكمته أنه أقام الحجة وأوضح المحجة، فكان الابتلاء بعدل، أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأوضح السبل، ورتب للطائع أجرًا وثوابًا، وللعاصي وزرًا وعقابًا، يُعطي مَنْ يَشَاء بفضله، ويمنع مَنْ يَشَاء بعدله، ولا يظلم ربنا أحدًا.

➤ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، ليس المراد كثرة العمل، إنما المراد حسن العمل قبل كل شيء، ولهذا ذكر بعض المفسرين أثرًا عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال: "أحسن عملا ما كان صوابًا خالصًا"، فالخالص أن يكون لله تعالى، والصواب أن يكون على هدي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

➤ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾

عزيز في أحكامه، وغفور لمن أطاعه، ولمن عصاه -إذا تاب توبة نصوحًا-، يغفر ذنوب الطائعين السالفة لطاعتهم، ويغفر ذنوب المسيئين إذا تابوا توبة نصوحًا، يعز الإنسان في الحياة قد يعفو أو يتنازل عن حقه وهو ذليل يخشى العقوبة لو لم يتنازل، لكن الله تعالى يصفح ويغفر بعزة وحكمة.

➤ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

نستفيد من هذه الآية أن كثرة العمل لا يُمدح بها صاحبها، ولا تُشفع له، إلا إذا كان العمل كما تقدم أنفًا خالصًا لله تعالى، موافقًا لهدي النبي عليه الصلاة والسلام.

➤ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾

[تبارك: ٣]، هذه الآية الكريمة تضمنت ذِكْرَ خَلْقِ السماوات، وفي آية أخرى السماوات والأرض.

➤ ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ﴾، ليس في خلق الرحمن خلل، بل خلق الرحمن كمال في جميع الأحوال، خلق الإنسان، خلق الحيوان، خلق السماء، خلق الأرض.

➤ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾

الفتور الشقوق، وارجع البصر، أي: أعد البصر، نستفيد فضل التأمل والتفكر في خلق الله تعالى، ولهذا جاء الأمر بالنظر في آيات كثيرة، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، نستفيد أن النظر في مخلوقات الله تعالى وملكوته يزيد العبدُ وجلًا من الله، وخشية منه، وحبًا له، وطمعًا في مرضاته، واجتنابًا وفراغًا من سَخَطه ومعاصيه.

➤ ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾

تأمل في مخلوقات الله، حتى ذكر بعض المفسرين أو بعض أهل الحديث أن من السنة إذا قام الإنسان من الليل أن ينظر في السماء، في حديث ميمونة الرسول صلى الله عليه وسلم قام توضأ ورفع بصره ثم تلا الآيات الأخيرة من سورة آل عمران، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

➤ ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [تبارك: ٤]

- أَعِدَّ البَصَرَ، مَنْ أَعَادَ البَصَرَ والتفكر في خلق الله تعالى سيستفيد أمور عظيمة، كمال خلق الله تعالى لهذه المخلوقات، تجده خوفًا ومحبة لله تعالى، يزيد تعظيم الله تعالى في قلبه.
- ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [تبارك: ٤]،
- البلاغة القرآنية، لو أراد الإنسان ينظر في هذا الملكوت، مهما بحث عن عيب فلن يجد عيبًا، مهما فعل، لماذا؟ لأنه تبارك الله أحسن الخالقين، أحسن كل شيء خلقه ثم هدى.
- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ هي النجوم، وهذه النجوم كما ذكر الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [تبارك: ٥]، كما أنها زينة في ذاتها للسماء، فهي أيضًا رجوم للشياطين، وقد أثير عن "قتادة رحمه الله تعالى"، يقول: "خلق الله النجوم لثلاث"، يعني: لحكم ثلاث:
- ❖ "زينة" كما في هذه الآية للسماء.
  - ❖ "ورجوم للشياطين" كما في هذه الآية،
  - ❖ ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ للمسافرين، المسافرين إذا سافروا في الصحراء يهتدون إلى طرقهم بفضل الله تعالى ثم بمعرفة منازل النجوم.
- ﴿وَاللَّذِينَ كَفَرُوا يَزِيدُهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [تبارك: ٦].
- ما يظلم ربنا أحدًا، وهؤلاء الكفار قامت عليهم الحجة، ووضحت المحجة عليهم، وجاء الوعيد، عذاب جهنم.
- ﴿وَبئْسَ الْمَصِيرُ﴾ نعم بئس المصير، أبأس مصير من كان مصيره النار.
- ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفُورٌ﴾ [تبارك: ٧]. من شدة العذاب والنكال، أنه لو عذب الإنسان بصمت عذاب، لكن إذا كان فيه أصوات مزعجة، وضوضاء يجتمع عليه زيادة في العذاب.
- ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [تبارك: ٨]،
- يعني شناعة في فعل النار، تتفرق تنقطع من غيظها، وأصوات شهيق، وبئس المصير، فنعوذ بالله من حال أهل النار، ونسأل الله أن يبعدنا وإياكم عن النار وعن أسباب دخول النار.
- ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [تبارك: ٨]،
- الله تعالى جعل هذا السؤال حتى تنقطع المعاذير، وإلا فالله لو عذبهم بدون حساب ما ظلمهم، لكن ليهلك من هلك عن بينة.
- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ استفهام، لا مجال للإنكار،
- ﴿قَالُوا بَلَى﴾، لا بد من اعتراف، ما يستطيعون،
- ﴿قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾، ثم بينوا سبب إعراضهم،
- ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [تبارك: ٩].
- كل هذه نستفيد أنها من عدل الله تعالى ورحمته، أنه لا يعذب من أطاعه، وأن من عصى وكفروا وعاند الله تعالى فلا يجني إلا على نفسه.

وصلى الله على نبيينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه. وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.